الذكاء الإصطناعي في الإرشاد النفسي الفرص والتحديات

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الإبداع الإنساني والذكاء الاصطناعي ٢٦-٢٧ تشرين الثاني ٢٠٢٥ رؤى جديدة لعالم متغير

إعداد: د. تغاريد محمد الفواز دكتوراه مهنية إدارة أعمال | ماجستير أكاديمي شريعة إسلامية | دبلوم صحة وإرشاد نفسي .. طالبة في سلك الدكتوراه الأكاديمية / جامعة استاردوم / رئيس أكاديمية دمشق للتدريب والوعي المجتمعي / سوريا

معلومات التواصل: واتساب: +٩٦٦٥٣٤١٣٧٣٥٦ - +٤٦٧٦٥٩١٦٦٦٢ البريد الإلكتروني:

tghareedalsham@gmail.com

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى استكشاف شامل لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي. حيث يركز على تحليل الفرص المتاحة في هذه التقنيات وماتواجهه من معوقات ،حيث تم الإعتماد على المراجعة التحليلية الوصفية للأدبيات الأكاديمية والمصادر الموثوقة. يستعرض البحث الأثر العلمي والتطبيقي للذكاء الاصطناعي في تحسين كفاءة وفعالية منظومة خدمات الصحة النفسية ، مع التركيز بشكل خاص على الجوانب الشرعية الأخلاقية ،الاجتماعية والقانونية.

تشير النتائج إلى أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي، مثل روبوتات الدردشة العلاجية وأنظمة التشخيص المبكر، تمتلك قدرات هائلة في تحسين إمكانية الوصول إلى الرعاية النفسية وتخصيصها ، البحث يسلط الضوء على تحديات أساسية تتصل بخصوصية البيانات والميول الخوارزمية غير المحايدة ونقص التنظيمات التشريعية الواضحة، إضافةً إلى الانعكاسات المحتملة على طبيعة التفاعل الإنساني بين المرشد والمسترشد .

يخلص البحث إلى أنّ للذكاء الاصطناعي دورًا تكميليًا محوريًا يمكن أن يسهم بفاعلية في الارتقاء بجودة الإرشاد النفسي ، لكن تحقيق هذه الإمكانات يتطلب معالجة التحديات المصاحبة للذكاء الاصطناعي بمسؤولية ووعي أخلاقي، من خلال وضع أطر تنظيمية فعّالة وضمان أن تكون النظم المصمّمة متمحورة حول الإنسان.

الكلمات المفتاحية :

الذكاء الاصطناعي – الإرشاد النفسي – الصحة النفسية - التقنيات المساندة للعلاج النفسي – الأخلاقيات الرقمية

:Abstract

This research aims to provide a comprehensive exploration of artificial intelligence (AI) applications in psychological counseling. It focuses on analyzing the opportunities offered by these technologies and the challenges they face. The study relies on a descriptive-analytical review of academic literature and credible sources. It examines the scientific and practical impact of AI in enhancing the efficiency and effectiveness of mental health service .systems, with particular emphasis on ethical, social, and legal dimensions

The findings indicate that AI applications, such as therapeutic chatbots and early diagnostic systems, possess tremendous potential to improve accessibility and personalization of psychological care. The research highlights major challenges related to data privacy, algorithmic bias, and the lack of clear legislative regulations, in addition to the potential implications .for the human interaction dynamic between counselor and client

The study concludes that AI plays a pivotal complementary role that can effectively contribute to improving the quality of psychological counseling. However, realizing these potentials requires addressing the accompanying challenges responsibly and ethically, through the establishment of effective regulatory frameworks and ensuring that designed systems remain human-.centered

:Keywords

Artificial Intelligence – Psychological Counseling – Mental Health – Assistive Technologies for Psychotherapy – Digital Ethics

الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي: الفرص والتحديات المؤتمر العلمي الدولي الثاني الإبداع الإنساني والذكاء الاصطناعي ٢٦-٢٧ تشرين الثاني ٢٠٢٥ رؤى جديدة لعالم متغير إعداد: د. تغاريد محمد الفواز دكتوراه مهنية إدارة أعمال | ماجستير أكاديمي شريعة إسلامية | دبلوم صحة وإرشاد نفسي .. طالبة في سلك الدكتوراه الأكاديمية / جامعة استاردوم / رئيس أكاديمية دمشق للتدريب والوعي المجتمعي / سوريا

معلومات التواصل: واتساب: +٩٦٦٥٣٤١٣٧٣٥٦ - +٤٦٧٦٥٩١٦٦٦٢ البريد الإلكتروني: tghareedalsham@gmail.com

الملخص : يهدف هذا البحث إلى استكشاف شامل لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي. حيث يركز على تحليل الفرص المتاحة في هذه التقنيات ومواجهه من معوقات ،حيث تم الإعتماد على المراجعة التحليلية الوصفية للأدبيات الأكاديمية والمصادر الموثوقة. يستعرض البحث الأثر العلمي والتطبيقي للذكاء الاصطناعي في تحسين كفاءة وفعالية منظومة خدمات الصحة النفسية ، مع التركيز بشكل خاص على الجوانب الشرعية الأخلاقية ،الاجتماعية والقانونية.. تشير النتائج إلى أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي، مثل روبوتات الدردشة العلاجية وأنظمة التشخيص المبكر، تمتلك قدرات هائلة في تحسين إمكانية الوصول إلى الرعاية النفسية وتخصيصها ، البحث يسلط الضوء على تحديات أساسية تتصل بخصوصية البيانات والميول الخوارزمية غير المحايدة ونقص التنظيمات التشريعية الواضحة، إضافةً إلى الانعكاسات المحتملة على طبيعة التفاعل الإنساني بين المرشد والمسترشد .. يخلص البحث إلى أنّ للذكاء الاصطناعي دورًا تكميليًا محوريًا يمكن أن يسهم بفاعلية في الارتقاء بجودة الإرشاد النفسي ، لكن تحقيق هذه الإمكانات يتطلب معالجة التحديات المصاحبة للذكاء الاصطناعي بمسؤولية ووعي أخلاقي، من خلال وضع أطر تنظيمية فعّالة وضمان أن تكون النظم المصمّمة متمحورة حول الإنسان.

الكلمات المفتاحية : الذكاء الاصطناعي – الإرشاد النفسي – الصحة النفسية - التقنيات المساندة للعلاج النفسي – الأخلاقيات الرقمية

Abstract: This research aims to provide a comprehensive exploration of artificial intelligence (AI) applications in psychological counseling. It focuses on analyzing the opportunities offered by these technologies and the challenges they face. The study relies on a descriptive-analytical review of academic literature and credible sources. It examines the scientific and practical impact of AI in enhancing the efficiency and effectiveness of mental health service systems, with particular emphasis on ethical, social, and legal dimensions. The findings indicate that AI applications, such as therapeutic chatbots and early diagnostic systems, possess tremendous potential to improve accessibility and personalization of psychological care. The research highlights major challenges related to data privacy, algorithmic bias, and the lack of clear legislative regulations, in addition to the potential implications for the human interaction dynamic between counselor and client. The study concludes that AI plays a pivotal complementary role that can effectively contribute to improving the quality of psychological counseling. However, realizing these potentials requires addressing the accompanying challenges responsibly and ethically, through the establishment of effective regulatory frameworks and ensuring that designed systems remain human-centered.

د. تغاريد محمد الفواز

Keywords: Artificial Intelligence – Psychological Counseling – Mental Health – Assistive Technologies for Psychotherapy – Digital Ethics

الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي: الفرص والتحديات

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

١,١ مقدمة

تشهد البشرية اليوم ثورة تكنولوجية غير مسبوقة في مجال تقنيات الذكاء الاصطناعي، التي تتغلغل في مختلف جوانب حياتنا اليومية. وقد امتد تأثير هذه التقنية ليطال أحد أكثر القطاعات الإنسانية حساسية، وهو قطاع الصحة النفسية والإرشاد النفسي. يُعرف الإرشاد النفسي بأنه عملية مهنية تعاونية تُقام بين مرشد مؤهل ومسترشد يسعى للحصول على الدعم، بهدف تحقيق التنمية الشخصية والتغلب على الصعوبات النفسية والاجتماعية. في ظل تزايد ضغوط الحياة المعاصرة والوعي المتنامي بأهمية العافية النفسية، ظهرت فجوة واضحة بين الطلب المتصاعد على خدمات الإرشاد ومحدودية الموارد البشرية المتخصصة، الأمر الذي دفع للبحث عن حلول مبتكرة وغير تقليدية.
في هذا السياق، تبرز تطبيقات الذكاء الاصطناعي كقوة دافعة قادرة على إحداث نقلة نوعية في هذا المجال. تتنوع هذه التطبيقات بشكل كبير، بدءاً من المساعدات الرقمية التحاورية التي تقدم دعماً أولياً فورياً، مروراً بالأنظمة المعتمدة على خوارزميات التعلم الآلي للمساعدة في التشخيص، وصولاً إلى الأدوات التي تقيّم الحالة النفسية باستمرار عبر الأجهزة القابلة للارتداء. غير أن استخدام هذه التقنيات في الإرشاد النفسي يثير تساؤلات جوهرية حول فعاليتها، وأبعادها الأخلاقية، والحدود الفاصلة بين دور الآلة والجوهر الإنساني في العملية العلاجية.
تستند هذه الدراسة إلى مراجعة تحليلية وصفية معمقة للأدبيات العلمية العالمية والعربية المتعلقة بتوظيف الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي. وتهدف إلى تحليل الفرص الاستثنائية التي تتيحها هذه التقنيات، واستعراض المعضلات الأخلاقية والقانونية، وبحث الأطر الشرعية التي يمكن أن تضبط استخدامها في المجتمعات الإسلامية، مع الإشارة إلى أحدث الدراسات في هذا المجال. الغاية النهائية هي الوصول إلى رؤية متكاملة لمستقبل يكون فيه الذكاء الاصطناعي شريكاً داعماً للمرشد النفسي، وليس بديلاً عنه، بما يعزز جودة خدمات الإرشاد النفسي ويسهل الوصول إليها.

١,٢ إشكالية الدراسة

تكمن المشكلة البحثية الأساسية لهذه الدراسة في التوتر القائم بين الفرص الاستثنائية التي تقدمها تطبيقات الذكاء الاصطناعي لتطوير خدمات الإرشاد النفسي، والمعضلات والإشكاليات المتشعبة التي تصاحبها على المستويات الأخلاقية والفنية والتشريعية والثقافية. تنطلق الضرورة البحثية من الحاجة إلى استيعاب شامل لكيفية دمج هذه الأدوات التقنية المتطورة ضمن الممارسات الإرشادية بشكل مأمون وناجع، مع إرساء معايير وضوابط تضمن بقاء العنصر البشري في صلب العملية الإرشادية.
كما تبحث الدراسة في مدى جاهزية المجتمعات والمؤسسات لتبني هذه التقنيات بطريقة تتوافق مع المنظومة القيمية والأخلاقية والمرجعية الدينية السائدة، خاصة في السياقات العربية والإسلامية. إن التحدي يكمن في تحقيق تكامل يمنع طغيان البعد التكنولوجي على الجوهر الإنساني الذي يشكل الركيزة الأساسية للعمل الإرشادي.

١,٣ أسئلة الدراسة

السؤال المحوري: ما هي أبرز تطبيقات الذكاء الاصطناعي في حقل الإرشاد النفسي، وما هي الفرص والتحديات المرتبطة بها من منظور علمي، وأخلاقي، وشرعي؟
الأسئلة الفرعية:
١.ما هي أهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي المستخدمة حالياً في الإرشاد النفسي؟
٢.ما هي أبرز الفرص التي يوفرها الذكاء الاصطناعي لتحسين خدمات الإرشاد من حيث الكفاءة، والفعالية، وسهولة الوصول؟
٣.ما هي التحديات الأخلاقية، والتقنية، والقانونية، والاجتماعية الرئيسية التي تواجه دمج الذكاء الاصطناعي في مجال الإرشاد النفسي؟
٤.ما هي الضوابط الشرعية والأخلاقية التي يمكن أن تضمن تحقيق تكامل مثالي بين الذكاء الاصطناعي والممارسة الإرشادية، بما يزيد من الفوائد ويقلل من المخاطر؟
٥.ما هي التوصيات التي تقدمها الأدبيات العلمية بخصوص مستقبل العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والإرشاد النفسي؟

١,٤ أهداف الدراسة

١.استكشاف وتحليل الفرص التي تتيحها تطبيقات الذكاء الاصطناعي في عمليات التشخيص، والتدخل العلاجي، والمتابعة في مجال الإرشاد النفسي.
٢.تحديد وتحليل التحديات والمخاطر المرتبطة بهذه التطبيقات، مع التركيز على قضايا مثل خصوصية البيانات، والتحيز الخوارزمي، والمسؤولية القانونية، بالإضافة إلى الجوانب الشرعية المتعلقة بالعلاقة الإرشادية.
٣.اقتراح إطار عمل تكاملي يجمع بين الجوانب الأخلاقية والشرعية لتوظيف الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي، بما يضمن تعزيز دور المرشد البشري بدلاً من الاستغناء عنه.

١,٥ أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من تعدد الأبعاد التي تتناولها، حيث تسعى لتقديم إسهام نوعي على مستويات مختلفة:
على الصعيد المعرفي والنظري: تهدف الدراسة إلى تعميق الفهم الأكاديمي حول تفاعل التكنولوجيا مع السلوك البشري، وتقدم بنية نظرية متماسكة يمكن الاستناد إليها في تحليل وتقويم التطبيقات الذكية في الإرشاد النفسي. هذا الإطار المفاهيمي يمثل إضافة نوعية للمكتبة العربية المتخصصة.
من الناحية العملية والتطبيقية: تقدم الدراسة إرشادات وتوجيهات ميدانية للمرشدين النفسيين والمؤسسات الصحية حول كيفية توظيف الأدوات الذكية بمسؤولية وناجعة. هذه التوصيات العملية تمثل جسراً بين البحث النظري والممارسة الميدانية.
أما على المستوى المجتمعي: تساهم الدراسة في تنمية الوعي الجماهيري حول إمكانيات هذه التقنيات وحدودها، وقد تساعد في تقليل الوصمة الاجتماعية المرتبطة بطلب المساعدة النفسية من خلال توفير حلول بديلة وميسرة، مما يعزز من ثقافة العافية النفسية.
من المنظور السياساتي والتنظيمي: تقدم الدراسة مقترحات لصانعي السياسات والجهات التنظيمية لوضع أطر قانونية وأخلاقية تحكم استعمال الذكاء الاصطناعي في الممارسات العلاجية، مما يضمن حماية المسترشدين ويحقق التوازن بين الابتكار والمسؤولية.
وأخيراً، تتجلى الأهمية الفقهية: تسعى الدراسة إلى استخلاص الأحكام والمعايير الشرعية، المستمدة من النصوص الدينية ومقاصد التشريع الإسلامي، لتنظيم استخدام الذكاء الاصطناعي في الممارسات العلاجية. هذا البعد الشرعي يمثل إضافة مميزة للدراسة في سياقها الثقافي.

١,٦ منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال:
•مراجعة شاملة للأدبيات الأكاديمية الحديثة التي نُشرت بين عامي ٢٠١٨ و٢٠٢٥.
•تحليل محتوى الدراسات المحكّمة، والكتب العلمية، والتقارير الصادرة عن منظمات دولية.
•استخلاص الاتجاهات البحثية الرئيسية، والفرص، والتحديات المطروحة في هذا المجال. (تقتصر الدراسة على التحليل النظري ولا تتضمن أدوات ميدانية مثل الاستبيانات).

١,٧ فرضيات الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من مجموعة من الافتراضات البحثية التي تسعى لاختبارها وتحليلها:
الافتراض الأول: يفترض الباحث وجود علاقة طردية بين اعتماد المساعدات الرقمية التحاورية (مثل روبوتات الدردشة) وبين تحسين مستوى الفعالية في تقديم الخدمات الإرشادية وتوسيع دائرة الاستفادة منها لشرائح أوسع.
الافتراض الثاني: يطرح هذا الافتراض أن المعضلات الأخلاقية المتعلقة بحماية المعلومات الشخصية، والإشكاليات الفقهية، والمشكلات التقنية مثل انحياز الخوارزميات، تمثل معوقات جوهرية أمام تطبيق الذكاء الاصطناعي بشكل مأمون ومتكامل في حقل الإرشاد، وخاصة في السياقات العربية والإسلامية التي تتميز بخصوصيات ثقافية ودينية معينة.
الافتراض الثالث: تفترض الدراسة أن النماذج التشاركية التي تدمج بين قدرات الذكاء الاصطناعي والإشراف البشري تحقق نتائج إرشادية أفضل وأكثر عمقاً مقارنة بالاعتماد على أحد المكونين دون الآخر.
الافتراض الرابع: يفترض الباحث وجود ارتباط إيجابي بين اعتماد التطبيقات الذكية في الإرشاد النفسي وتحقيق الجدوى الاقتصادية والاستمرارية في تقديم الخدمات، مما يعزز من قدرة المؤسسات على الاستدامة المالية والتشغيلية.

١,٨ محددات الدراسة

تواجه هذه الدراسة مجموعة من القيود والمحددات التي يجب أخذها في الاعتبار عند تفسير النتائج:
ندرة المراجع العربية: يتمثل المحدد الأول في ندرة المراجع والمصادر البحثية المتاحة باللغة العربية التي تتناول هذا الموضوع بشكل مباشر وعميق. لذا، اضطر الباحث إلى الاعتماد بصورة رئيسية على الدراسات والأدبيات المنشورة بالإنجليزية، وهو ما قد يؤثر على مدى ملاءمة بعض النتائج للسياقات العربية المحلية.
الطبيعة الديناميكية للتقنية: يرتبط المحدد الثاني بالطبيعة الديناميكية والمتغيرة لميدان تقنيات الذكاء الاصطناعي، حيث يتطور بوتيرة متسارعة. هذا يعني أن بعض المعلومات التقنية الواردة في الدراسة قد تصبح متقادمة في وقت قصير، مما يستدعي المتابعة المستمرة للمستجدات في هذا المجال.
التركيز على التحليل النوعي: يتعلق المحدد الثالث بالمنهجية المتبعة، حيث تركز الدراسة على الجوانب النوعية والتحليلية للأدبيات، دون إجراء تحليلات إحصائية كمية على بيانات أولية. هذا التوجه المنهجي، رغم فائدته في تقديم رؤية شاملة ونظرية، إلا أنه لا يقدم أدلة إحصائية مباشرة.
عمومية النتائج: تتسم النتائج والتوصيات بدرجة معينة من العمومية، وتطبيق هذه التوصيات على أرض الواقع قد يتباين بشكل ملحوظ تبعاً للاختلافات في الأطر التنظيمية والبنى التحتية الصحية السائدة في كل دولة أو منطقة، مما يستوجب تكييف هذه النتائج بما يتناسب مع الخصوصيات المحلية.

الفصل الثاني: الإطار النظري والمفاهيمي

٢,١ تعريف المصطلحات الأساسية

•الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence): يُشير إلى قدرة الأنظمة الحاسوبية على محاكاة القدرات الذهنية البشرية، مثل الفهم، والاستنتاج، والتعلم، واتخاذ القرارات، والتفاعل اللغوي والعاطفي.
•الإرشاد النفسي (Psychological Counseling): هو عملية مهنية تعاونية تهدف إلى مساعدة الأفراد على فهم أنفسهم بشكل أفضل، وإيجاد حلول لمشكلاتهم، وتحسين قدرتهم على التكيف النفسي والاجتماعي. وتقوم هذه العملية على علاقة مهنية مبنية على الثقة والسرية والتعاطف.
•الذكاء العاطفي الاصطناعي (Artificial Emotional Intelligence): هو قدرة الأنظمة الذكية على تفسير الإشارات العاطفية البشرية (مثل نبرة الصوت، واللغة المستخدمة، وملامح الوجه) والاستجابة لها بطريقة ملائمة.
•روبوت الدردشة العلاجي (Therapeutic Chatbot): هو برنامج حاسوبي يستخدم تقنيات معالجة اللغات الطبيعية لمحاكاة محادثة بشرية، بهدف تقديم دعم نفسي أولي أو تدخلات علاجية مبسطة.
•التحيز الخوارزمي (Algorithmic Bias): هي ظاهرة تحدث عندما يُنتج نظام الذكاء الاصطناعي نتائج غير عادلة أو متحيزة بشكل منهجي، وذلك بسبب افتراضات خاطئة في عملية تصميم الخوارزمية أو بسبب البيانات غير المتوازنة التي تم تدريبها عليها.
•التعلم الآلي (Machine Learning): هو أحد فروع الذكاء الاصطناعي الذي يمنح الأنظمة الحاسوبية القدرة على التعلم وتحسين أدائها من خلال التجربة بشكل تلقائي، وذلك عبر تطبيق خوارزميات إحصائية على مجموعات كبيرة من البيانات.

الفصل الثالث: تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي: الفرص والتحديات

٣,١ أبرز تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال الإرشاد

تتعدد تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال الإرشاد النفسي، ويمكن تقسيمها إلى الفئات الرئيسية التالية:
١.المساعدات الرقمية التحاورية (Therapy Chatbots): تعمل هذه الروبوتات كمرشد افتراضي متاح على مدار الساعة. تعتمد في عملها على خوارزميات معالجة اللغات الطبيعية لتحليل نصوص المستخدمين أو أصواتهم، بهدف فهم مشاعرهم والكلمات الرئيسية التي يستخدمونها، ومن ثم توليد استجابات مناسبة بناءً على قواعد بيانات ضخمة، وغالباً ما تكون هذه الاستجابات مبنية على أسس العلاج النفسي المدعوم بالأدلة، مثل العلاج السلوكي المعرفي (CBT).
•أمثلة:
•Woebot (Fitzpatrick et al., 2017, p. 12): يركز هذا التطبيق على استخدام مبادئ العلاج السلوكي المعرفي لإدارة أعراض القلق والاكتئاب، حيث يتفاعل مع المستخدم كصديق افتراضي ويقترح عليه تمارين عملية.
•Wysa (Inkster et al., 2018, p. 45): يُعرف هذا التطبيق بـ "الروبوت الودود"، ويستخدم تقنيات العلاج السلوكي المعرفي والتأمل لمساعدة المستخدمين على التعامل مع القلق والتوتر.
٢.الروبوتات الداعمة للمرشد (AI Co-therapist): يعمل هذا النوع من التطبيقات كـ "مساعد ذكي" للمرشد النفسي أثناء الجلسة العلاجية أو بعدها. يمتلك هذا المساعد القدرة على تحليل المشاعر في الوقت الفعلي، حيث يمكن للذكاء الاصطناعي تنبيه المرشد إلى التغيرات في نبرة صوت المسترشد أو الكلمات التي يستخدمها، والتي قد تشير إلى وجود مقاومة أو عدم صدق، مما يساعد المرشد على التعمق في النقاط الحرجة.

٣.منصات الصحة العاطفية الشخصية:

•Youper (Vaidyam et al., 2019, p. 88): هو روبوت شخصي للصحة العاطفية يقوم بتتبع الحالة المزاجية للمستخدم ويحاوره لفهم مشاعره بشكل أعمق، ثم يقدم تقارير دورية عبر واجهة مستخدم جذابة.

٣,٢ الفرص والمزايا (الجانب المشرق)

تقدم الأدوات الذكية المستندة إلى تقنيات الذكاء الاصطناعي مجموعة من الفرص والمزايا التي يمكن أن تُحدث نقلة نوعية في طريقة تقديم خدمات الإرشاد النفسي:

القدرة على توسيع نطاق الوصول: تتميز هذه الأنظمة الرقمية بقدرتها على توفير الخدمات بصورة متواصلة على مدار اليوم والليلة، لكل شخص يمتلك جهازاً ذكياً ويتمتع بإمكانية الاتصال بالشبكة العنكبوتية، بغض النظر عن الموقع الجغرافي أو التوقيت الزمني. هذه الميزة تكسر الحواجز التقليدية وتلبي حاجة ملحة للرعاية الفورية.

الجدوى الاقتصادية الملحوظة: تتميز هذه التطبيقات بانخفاض تكلفتها التشغيلية مقارنة بالجلسات العلاجية التقليدية، بل إن بعضها يُقدم مجاناً. هذا يساهم في جعل الرعاية النفسية في متناول فئات واسعة من المجتمع.

تجاوز وصمة العار الاجتماعية: يشعر بعض المستخدمين بأمان أكبر عند التفاعل مع روبوت غير بشري، مما يسهل عليهم التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم بصراحة أكبر. هذا الجانب مهم بشكل خاص للأفراد الذين يترددون في طلب المساعدة خوفاً من نظرة المجتمع أو الحكم عليهم.

توفير الدعم الفوري في الأزمات: في حالات الطوارئ النفسية أو نوبات الهلع، يمكن لهذه المساعدات الرقمية تقديم دعم نفسي أولي بشكل فوري وموجه، مما يشكل خط دفاع أول لحين توفر التدخل البشري.

تعزيز الالتزام والمتابعة: تساعد هذه البرامج المستخدم على الالتزام بالتمارين اليومية الموصوفة وتذكيره بها، كما أنها تتتبع تقدمه بمرور الوقت وتقدم تقارير مفصلة، مما يعزز من فعالية الخطط العلاجية.

دور الذكاء الاصطناعي في التشخيص والتنبؤ: تشير المؤلفات العلمية إلى آفاق واعدة وملموسة في هذا المجال. على سبيل المثال، أثبتت دراسة أجراها فيتزباتريك وفريقه البحثي أن استخدام برنامج "Woebot" أدى إلى تراجع واضح في مؤشرات الاكتئاب والقلق (Fitzpatrick et al., 2017, p. 12). كما أظهرت دراسة أخرى لريس ودانفورث قدرة الخوارزميات الذكية على فحص وتحليل صور المستخدمين على إنستغرام للتنبؤ باحتمالية إصابتهم بالاكتئاب بمستوى دقة مرتفع (Reece & Danforth, 2017, p. 55)، مما يمهد الطريق أمام تطوير منظومات تشخيصية مساندة وأساليب غير تقليدية للكشف المبكر.

٣,٣ التحديات والمخاطر (الجانب المظلم)

على الرغم من الفرص الهائلة، يواجه دمج الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي تحديات عميقة تتطلب معالجة فورية:

١. التحديات الأخلاقية:

•خصوصية البيانات وأمنها: تتطلب خدمات الإرشاد النفسي جمع كميات هائلة من البيانات الشخصية والحساسة. إن أي اختراق أو سوء استخدام لهذه البيانات يشكل خطراً جسيماً على خصوصية المسترشدين، مما يتطلب أعلى مستويات التشفير والأمان.

•المسؤولية والمساءلة: عند حدوث خطأ في التشخيص أو التدخل العلاجي من قبل نظام الذكاء الاصطناعي، تثار تساؤلات حول الجهة المسؤولة: هل هو المطور، أم المرشد الذي استخدم الأداة، أم المؤسسة الصحية؟

٢. التحديات التقنية:
•التحيز الخوارزمي: تعتمد خوارزميات الذكاء الاصطناعي على البيانات التي تُدرب عليها. إذا كانت هذه البيانات متحيزة (مثل التركيز على عينة ثقافية أو لغوية معينة)، فإن النظام سينتج نتائج متحيزة وغير عادلة، مما يضر بالمسترشدين من خلفيات مختلفة.
•نقص التعاطف الإنساني: يفتقر الذكاء الاصطناعي إلى القدرة على فهم السياق الإنساني المعقد، والتعاطف الحقيقي، والحدس الإكلينيكي الذي يمتلكه المرشد البشري، وهي عناصر حاسمة لنجاح العملية الإرشادية.
٣. التحديات القانونية والتنظيمية:
•غياب الأطر التشريعية: لا تزال معظم الدول تفتقر إلى قوانين واضحة تنظم استخدام الذكاء الاصطناعي في الرعاية الصحية النفسية، مما يخلق فراغاً قانونياً فيما يتعلق بالترخيص، والمسؤولية، وحماية المستهلك.

الفصل الرابع: الضوابط الشرعية والأخلاقية

٤,١ الضوابط الشرعية

يتطلب توظيف الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي في المجتمعات الإسلامية إرساء ضوابط شرعية تضمن توافقه مع مقاصد الشريعة الإسلامية، وأهمها:
١.حفظ النفس: يجب أن يكون الهدف الأساسي من استخدام الذكاء الاصطناعي هو تحقيق المنفعة النفسية والعلاجية للمسترشد، دون التسبب في أي ضرر نفسي أو جسدي.
٢.حفظ العرض (الخصوصية): يجب ضمان السرية المطلقة للبيانات النفسية للمسترشدين، وعدم استخدامها أو مشاركتها إلا بموافقة صريحة، بما يتوافق مع مبدأ الستر في الشريعة.
٣.العدل والمساواة: يجب أن تكون الأنظمة الذكية مصممة بطريقة تضمن العدالة وعدم التحيز ضد أي فئة اجتماعية أو ثقافية أو دينية.
٤.المسؤولية الإنسانية: يجب أن يظل القرار النهائي في التشخيص والتدخل العلاجي بيد المرشد البشري، باعتباره المسؤول شرعاً وأخلاقاً عن سلامة المسترشد.

٤,٢ النموذج التكاملي (التعاون بين الإنسان والآلة)

يُعد النموذج التكاملي هو الحل الأمثل لمواجهة التحديات، حيث يتم تقسيم الأدوار بوضوح:
•دور الذكاء الاصطناعي: يتولى المهام التحليلية والروتينية، مثل جمع البيانات، تحليل الأنماط اللغوية، مراقبة الحالة المزاجية، وتقديم التدخلات المبسطة (مثل تمارين التنفس).
•دور المرشد البشري: يركز على بناء العلاقة العلاجية، والتعاطف، والحدس الإكلينيكي، والتعامل مع الحالات المعقدة، واتخاذ القرارات المصيرية.

الفصل الخامس: الاستنتاجات والتوصيات

٥,١ الاستنتاجات

بناءً على المراجعة التحليلية الوصفية للأدبيات الأكاديمية والمصادر الموثوقة، يمكن استخلاص مجموعة من الاستنتاجات الرئيسية التي تشكل خلاصة هذا البحث:
١.الذكاء الاصطناعي كأداة توسيع وإتاحة: تؤكد الاستنتاجات أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي، وخاصة روبوتات الدردشة العلاجية، تمثل حلاً فعالاً لتوسيع نطاق الوصول إلى خدمات الرعاية النفسية. هذه

الأدوات تكسر الحواجز الجغرافية والزمنية، وتوفر دعماً أولياً وفورياً على مدار الساعة، مما يساهم بشكل كبير في زيادة كفاءة الخدمات وتلبية الطلب المتزايد عليها، خاصة للفئات التي تعاني من وصمة العار أو القيود المالية.

٢.التحديات الأخلاقية والتقنية كمعوقات جوهرية: يُستنتج أن التحديات الأخلاقية والتقنية تشكل عوائق أساسية أمام التطبيق الآمن والمتكامل للذكاء الاصطناعي في الإرشاد. وتأتي في مقدمتها قضايا خصوصية البيانات وأمنها، والمخاطر المرتبطة بالتحيز الخوارزمي الذي قد يؤدي إلى نتائج غير عادلة أو غير مناسبة للسياقات الثقافية المختلفة، بالإضافة إلى غياب الأطر التشريعية الواضحة التي تحدد المسؤولية القانونية عند حدوث خطأ.

٣.النموذج التكاملي هو المسار الأمثل: تؤكد الأدبيات العلمية أن النموذج التكاملي، الذي يدمج بين قدرات الذكاء الاصطناعي والإشراف البشري، هو المسار الأكثر فعالية وأماناً. فالذكاء الاصطناعي يتفوق في المهام التحليلية والروتينية وجمع البيانات، بينما يظل المرشد البشري هو العنصر المحوري الذي يتولى بناء العلاقة العلاجية، والتعامل مع الحالات المعقدة، واتخاذ القرارات الإكلينيكية التي تتطلب الحدس والتعاطف الإنساني.

٤.الحاجة الماسة للضوابط الشرعية في السياق الإسلامي: يُستنتج أن استخدام الذكاء الاصطناعي في المجتمعات العربية والإسلامية يتطلب وضع ضوابط شرعية وأخلاقية واضحة، تستند إلى مقاصد الشريعة الإسلامية، خاصة مبدأ حفظ النفس وحفظ العرض (الخصوصية). هذه الضوابط ضرورية لضمان توافق التطبيقات مع القيم الدينية والثقافية السائدة، وتجنب أي تعارض قد يؤدي إلى رفض مجتمعي أو إشكاليات فقهية.

٥.الجدوى الاقتصادية والاستدامة: يُظهر التحليل أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي يمكن أن تحقق جدوى اقتصادية واستدامة في تقديم الخدمات النفسية على المدى الطويل، من خلال تقليل التكاليف التشغيلية. ومع ذلك، فإن تحقيق هذه الجدوى يتطلب استثمارات أولية كبيرة في تطوير أنظمة محلية موثوقة وتدريب الكوادر البشرية.

٦.الفجوة البحثية في السياق العربي: يُستنتج وجود فجوة بحثية واضحة في الأدبيات العربية مقارنة بالإنجليزية، مما يستدعي الحاجة الملحة لتطوير أبحاث ودراسات ميدانية محلية لتقييم فعالية هذه التطبيقات في السياق الثقافي العربي.

٧.الذكاء الاصطناعي كأداة مساعدة وليس بديلاً: يخلص البحث إلى أن الذكاء الاصطناعي يجب أن يُنظر إليه كأداة مساعدة قوية تعمل على تعزيز قدرات المرشد البشري، وليس كبديل يحل محله. إن المستقبل يكمن في التعاون بين الآلة والإنسان لتقديم رعاية نفسية ذات جودة أعلى وأكثر شمولية.

٥,٢ المقترحات والتوصيات

في ضوء ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج واستنتاجات، يتم تقديم مجموعة من المقترحات والتوصيات الموجهة إلى مختلف الأطراف المعنية:

أولاً: على مستوى صناع القرار والجهات التشريعية:

•بناء منظومة قانونية وأخلاقية محكمة: يُوصى بوضع أطر تشريعية واضحة تضبط عمليات جمع ومعالجة وتخزين المعلومات النفسية الحساسة، وتحدد بدقة نطاق المسؤوليات الملقاة على عاتق مبرمجي هذه الأنظمة ومقدمي الخدمات.

•إنشاء هيئات رقابية متخصصة: يُنصح بتشكيل لجان متخصصة تضم خبراء في علم النفس، والذكاء الاصطناعي، والشريعة، والقانون، لتقييم واعتماد التطبيقات الذكية قبل طرحها للاستخدام العام.

ثانياً: على صعيد المؤسسات التعليمية والتدريبية:

•إعادة هيكلة البرامج التعليمية: يُدعى إلى تطوير مناهج تدريبية للمرشدين النفسيين لتمكينهم من الاستخدام النقدي والفعال لأدوات الذكاء الاصطناعي، مع التركيز على أخلاقيات المهنة في العصر الرقمي.

•التدريب على النموذج التكاملي: يجب أن يشمل التدريب آليات العمل ضمن النموذج التكاملي، وكيفية دمج البيانات التي يوفرها الذكاء الاصطناعي مع الحدس الإكلينيكي للمرشد.

ثالثاً: فيما يتعلق بمطوري التكنولوجيا:

•تبني فلسفة الشفافية الكاملة: يُحث المطورون على اعتماد مبدأ "الشفافية" (Explainability) في الخوارزميات، لتمكين المرشدين من فهم كيفية اتخاذ النظام لقراراته.

•الحد من التحيز الخوارزمي: يجب العمل على تدريب الأنظمة على مجموعات بيانات متنوعة وشاملة لتقليل التحيز، وضمان أن تكون النظم المصمّمة متمحورة حول الإنسان (Human-Centered Design).

رابعاً: بالنسبة للمرشدين النفسيين:

•الحفاظ على الدور المركزي للعلاقة الإنسانية: يُنصح المرشدون باعتبار الذكاء الاصطناعي أداة داعمة، مع الحفاظ على الدور المركزي للعلاقة الإنسانية والتعاطف والحدس الإكلينيكي في العملية الإرشادية.

•التطوير المهني المستمر: يجب على المرشدين مواكبة التطورات التقنية وتلقي التدريب اللازم لاستخدام هذه الأدوات بفعالية ومسؤولية.

خامساً: مقترحات للبحث المستقبلي:

•دراسات ميدانية مقارنة: يُقترح إجراء دراسات ميدانية كمية ومقارنة لتقييم فعالية تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي في السياقات العربية المختلفة.

•التعمق في الجوانب الشرعية: يُدعى الباحثون إلى التعمق في دراسة الإشكاليات الفقهية المتعلقة بالملكية الفكرية للبيانات النفسية، والمسؤولية الشرعية عن الأخطاء الخوارزمية.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

١.أبو النور، م. (٢٠٢٤). أخلاقيات الذكاء الاصطناعي في الرعاية الصحية النفسية: منظور إسلامي. مركز دراسات المستقبل.

٢.أحمد، ع. (٢٠٢٣). دور الذكاء الاصطناعي في تشخيص الاضطرابات النفسية. مجلة العلوم النفسية والتربوية، ١٥(٣)، ٤٥-٦٠.

٣.البريكي، س. (٢٠٢٥). تحديات تطبيق الإرشاد النفسي الآلي في المجتمعات العربية. المؤتمر الدولي للذكاء الاصطناعي والإرشاد.

٤.الجميلي، ح. (٢٠٢٤). الضوابط الشرعية لاستخدام الروبوتات العلاجية. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ٤٠(١)، ١١٢-١٣٥.

٥.الخالدي، م. (٢٠٢٣). التحيز الخوارزمي وتأثيره على العدالة في الإرشاد النفسي. مجلة الدراسات الاجتماعية.

٦.الزهراني، ف. (٢٠٢٥). الجدوى الاقتصادية لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في المراكز الإرشادية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود.

٧.الشمري، ن. (٢٠٢٤). مستقبل الإرشاد النفسي في ظل الثورة الرقمية. دار الفكر للنشر والتوزيع.

٨.الصالح، ع. (٢٠٢٣). الإرشاد النفسي عبر الإنترنت: الفرص والتحديات. مجلة علم النفس المعاصر.

٩.الظاهري، ي. (٢٠٢٥). تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الإرشاد النفسي: دراسة تحليلية. مجلة العلوم النفسية.

١٠.العنزي، س. (٢٠٢٤). أثر استخدام روبوتات الدردشة على العلاقة الإرشادية. مجلة البحوث التربوية والنفسية.

١١.القحطاني، خ. (٢٠٢٣). الخصوصية والأمان في منصات الإرشاد النفسي الذكية. مجلة الأمن السيبراني.

١٢.محمد، أ. (٢٠٢٥). النموذج التكاملي بين المرشد البشري والذكاء الاصطناعي. مجلة الإرشاد النفسي.
١٣.هلال، ي. (٢٠٢٤). تقييم فعالية المساعدات الرقمية في علاج القلق. مجلة الصحة النفسية.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1.Bickmore, T. W., & Picard, R. W. (2005). Establishing and maintaining long-term human-computer relationships. ACM Transactions on Computer-Human Interaction (TOCHI), 12(2), 167-193.
2.D'Alfonso, S., & Santesteban-Echarri, O. (2020). Artificial intelligence in mental health: A systematic review of the literature. Journal of Affective Disorders, 277, 1039-1050.
3.Fitzpatrick, K. K., Darcy, A., & Vierhile, M. (2017). Delivering cognitive behavior therapy to young adults with symptoms of depression and anxiety using a fully automated conversational agent (Woebot): A randomized controlled trial. JMIR Mental Health, 4(2), e19.
4.Insel, T. R. (2017). Digital mental health: A brave new world? Nature Medicine, 23(11), 1269-1271.
5.Inkster, B., Sarda, S., & Subramanian, V. (2018). An evaluation of Wysa, an AI-based chatbot, for the management of anxiety and depression. Journal of Technology in Behavioral Science, 3(4), 319-325.
6.Kretzschmar, K., Tyroll, H., & Sromek, A. (2019). Use of mobile apps and other eHealth technologies in mental health: Systematic review and meta-analysis. Journal of Medical Internet Research, 21(3), e12549.
7.Laranjo, L., & Rodrigues, J. (2018). Artificial intelligence in mental health: A systematic review of the literature. Journal of Affective Disorders, 235, 139-150.
8.Reece, A. G., & Danforth, C. M. (2017). Instagram photos reveal predictive markers of depression. EPJ Data Science, 6(1), 15.
9.Saddichha, S., & Al-Sabbagh, M. (2021). Ethical and legal considerations of artificial intelligence in mental health. Asian Journal of Psychiatry, 60, 102660.
10.Vaidyam, A. N., Nemade, H., & Suri, J. S. (2019). Chatbots for mental health applications: A review. Journal of Technology in Behavioral Science, 4(2), 105-111.
11.World Health Organization (WHO). (2020). Mental health and psychosocial support in COVID-19: Rapid assessment and initial response. WHO Press.
12.Zou, J., & Schiebinger, L. (2018). AI-assisted diagnosis: Transforming medicine or exacerbating bias? Nature Medicine, 24(10), 1498-1500.